

## النظرية الذهنية بين السلوكيين واللسانيين

### The mental theory according to behaviorists and linguists

عمر علي سليمان الباروني

كلية التربية- جامعة مصراتة

[o.elbaruni@edu.misuratau.edu.ly](mailto:o.elbaruni@edu.misuratau.edu.ly)

#### الملخص:

أهل العقل ينظرون إلى اللغة على أنها أداة تعبير وتفكير، أي: يعبر بها عن الفكرة والصورة الذهنية؛ فاللغة عندهم تنظيم عقلي معقد، بينما ينظر الماديون إلى الفكر على أنه كلام ملفوظ، وأنه لا يمكن استقلال الفكر عن اللغة؛ وبناءً على ذلك فقانون المثير والاستجابة هو المخرج لتفسير الظواهر اللغوية عندهم؛ لكون الظواهر اللغوية ملحوظة لدى المتكلمين باللغة.

وسيتناول هذا البحث الذهنية عند السلوكيين واللسانيين، وكيفية نظر أصحاب النظرية السلوكية والنظرية اللسانية إلى هذه الذهنية وحقيقتها، وذلك في مطلبين: الأول في الذهنية عند السلوكيين، والثاني في الذهنية عند اللسانيين.

#### Abstract:

People of reason view language as an instrument of expression and reflection, that is, it is used to the idea and mental image; language has a complex mental organization, while the materialists view thought as speech, and that thought can not be independent of language; Therefore the stimulus-response theory is the way out to interpret the linguistic phenomena they have; because linguistic phenomena are noticeable to speakers of the language.

This research will examine the mentality of the behaviorists and linguists, and how the authors of the behavioral theory and linguistic theory consider this mentality and reality, in two demands: the first in the mentality of the behaviorists, and the second in the mentality of the Lassyans.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن اللغة عند العقلايين أداة للتعبير والتفكير، فهي تعبر عن الأفكار الكامنة، كالفكرة والصورة الذهنية؛ لذا تعد اللغة عندهم تنظيمًا عقليًا معقدًا، وعلى النقيض تمامًا يرى الماديون أن الفكر ما هو إلا كلام ملفوظ، وأنه لا وجود للفكر مستقلاً عن اللغة؛ من هنا ركزوا على قانون المثير والاستجابة في تفسير الظواهر اللغوية، وهي نواحٍ ملحوظة لدى المتكلمين بهذه اللغة.

وهذا البحث سأتناول فيه الذهنية عند السلوكيين واللسانيين، وكيفية نظر أصحاب النظرية السلوكية والنظرية اللسانية إلى هذه الذهنية وحققتها، ووسمت بحثي باسم (النظرية الذهنية بين السلوكيين واللسانيين)، وسيكون الحديث فيه مكوناً - بعد المقدمة - من مطلبين:

المطلب الأول - الذهنية عند السلوكيين.

المطلب الثاني - الذهنية عند اللسانيين.

ثم خاتمة لتلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها، وأعقبها بفهرس للمصادر والمراجع.

(والله الموفق)

## المطلب الأول- الذهنية عند السلوكيين

إن مبدأ الذهنية عند السلوكيين ينطلق من ذلك السلوك الناتج عن المثير والاستجابة، وترجع بدايات السلوكية إلى وليم جيمز w.james، ولكن يعد واطسون j.watson رائد النظرية السلوكية، فقد ألف كتاباً شهيراً في هذه النظرية باسم: السلوكية (الشايب:343).

وقد أخضع السلوكيون النشاط الإنساني بأجمعه إلى عملية التأثير هذه، واعتبروا اللغة ضرباً من ضروب هذا السلوك، حيث يحولها التكرار المستمر إلى عادات سلوكية، تتكرر بتكرار منتجها، بين مثير واستجابة (العبيدي:300، وأوكان:19).

وهذه النظرية قائمة على مبدأ السلوك الملاحظ، الذي يردّ السلوك اللفظي إلى ثلاثة عناصر، ويتضح ذلك من خلال المحاورة الشهيرة بين جاك وجيل حول التفاحة، وهي التي بها أرسيت ثنائية المثير والاستجابة، وهذه العناصر الثلاثة هي:

\* الحدث العملي الذي يسبق عملية التكلم، وهو المثير، المتمثل في رؤية جيل للتفاحة.

\* عملية التكلم التي تلي الحدث العملي، وهي الاستجابة، المتمثلة في طلب جيل من جاك أن يجني لها التفاحة.

\* الحدث العملي الذي يلي عملية التكلم، وهو استجابة السامع، المتمثلة في جني جاك التفاحة لجيل (الشايب:344-345، وأوكان:19).

وهكذا تصبح مثل هذه العناصر عادة اجتماعية، يكتسبها الفرد منذ طفولته من الأكبر منه سنًا، حتى تصبح سلوكاً اجتماعياً (جوزيف:94313?aid=http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp)

وهذا الرأي يرفض الآراء الأخرى الذهنية والاستبطانية، ومن ثم الرفض الكامل للوجود العقلي والفكري والمعنوي. وقد سلك واطسون هذا المسلك في عمومته؛ لكنه يحاول التدليل على انتفاء الحياة العقلية، وينسب الفكر لمرحلة واحدة من حياة الفرد، وهي ضمن مرحلة حديث الفرد مع الذات؛ لذا فإن المعنى مرفوض عنده، وقد جعل الكلام ضمن مرحلة أخرى لا علاقة لها بالذهن، واعتبره- أي: الكلام-

نشاطاً حركياً واعدادات لفظية، وما نادى به واطسون يفصل بين اللغة والكلام بالنسبة للفرد؛ لأن الذهنية هي التي تنتج اللغة والكلام، فالكلام الفردي يصبح لغة عندما يقبل ويتناول اجتماعياً (أوكان:19).

وإذا انتقلنا إلى بلومفيلد؛ فإننا نجد أنه قد اعتمد في تناوله للأسس اللغوية على المذهب الذهني النفسي في بداية الأمر، ثم انتقل إلى المذهب السلوكي معتمداً على أفكار ويس Weiss، الذي يذهب إلى أن المعنى يكمن في مظاهر المؤثر والاستجابة المصاحبة للتعبير، فهو يفسر سلوكيات البشر عن طريق الملاحظة التجريبية، معتبراً أن اللغة مادة. زيادة على ذلك فإن بلومفيلد تأثر بالمنهج الوضعي لرودلف كارناب Rudolf Carnab، الذي يتعارض مع المذهب الذهني (الوعر:84، والشايب:343-344).

فبلومفيلد يحاول أن يطغى على المذهب الذهني ببحثه عن المناهج الأخرى لدعم أفكاره تجاه السلوك الإنساني، والتقليل من فكرة العقل البشري، ومن هنا لجأ إلى دراسة اللغة من منظور الملاحظة والتسجيل فقط، وذلك بتسليط الضوء على عينات من الكلام وتحليلها، من خلال تصنيفها إلى مستويات مختلفة: صوتية، وصرفية، ونحوية، ثم استخلاص قواعد اللغة منها مؤسسة على خصائص توزيعية لوحدها (بارتشت:214، والشايب:343).

وقد هاجم بلومفيلد المنهجين: النفسي، والفيزيائي، واعتبرهما لا يعينان بارتباط اللغة بالذهن، بل جعلهما يخصصان علومًا أخرى (تشومسكي/أ:12، وتشومسكي/ب:218).

وقد تميزت المدرسة السلوكية بخمسة ملامح هي:

- 1- التنكر التام للمصطلحات الذهنية، مثل: العقل، والمفهوم، والفكر، وغيرها، ورفض الاستبطان بوصفه وسيلة للحصول على معطيات صحيحة في السيكلوجيا.
- 2- المساواة بين السلوك الإنساني، والسلوك الحيواني؛ بإلغاء العقل وتعطيله.
- 3- الميل إلى تقليل دور الغريزة والقدرات والدوافع الفطرية، والتركيز على الجانب المؤدى من قبل التعليم في تفسير اكتساب الحيوانات والإنسان لأنماط سلوكها.
- 4- تعد السلوكية نصيراً للمدرسة التجريبية، التي ترى أن التجربة هي المصدر الرئيس للمعرفة والتعلم.

5- القول بالآلية أو الحتمية، الذي يقضي بأن كل شيء يحدث في الكون سببه القوانين الطبيعية ذاتها (الشايب:346، وخرما:111).

### المطلب الثاني - الذهنية عند اللسانيين

اهتم دي سوسير desaussure بالمفاهيم الصوتية والذهنية، وكذلك رومان جاكسون roman jakobspn كان له تأثير عظيم في بناء النظرية الذهنية، خاصة في جانب الدرس الصوتي (الوعر:84، 87، والعبيدي:240).

ويرى إدوارد ساير e.sapir أن المذهب السلوكي ما هو إلا تفسير الكلام على مبدأ غريزي، يجعل التعابير غير الإرادية تعابير إرادية لتبليغ الأفكار والمشاعر، فاللغة عند ساير منهج إنساني محض، لا غريزي لتبليغ الأفكار والمشاعر، فهو يرفض فكرة أن الإصدارات الصوتية هي إصدارات يفسرها السامع باعتبارها دالة على الانفعال ذاته في صورة غير إرادية، وإنما هي عنده بسبب تأثير الانفعال، أو بسبب ألم أو فرح شديدين (ساير:20).

فالذهنية في واقع الأمر قد مرت- وما تزال تمر- بعدة مراحل تطويرية، تتضح المرحلة الأولى في كتاب تشومسكي: المباني التركيبية عام 1957م (syntactic structures)، والمتمثلة بالمنهج التركيبي، وتتضح المرحلة الثانية في كتابه: أوجه النظرية النحوية عام 1965م (aspects of the theory of syntax)، والمتمثلة بالمنهج المعياري، وتتمثل المرحلة الثالثة في الأعمال التي قام بها بعض الباحثين الذهنيين، مثل: كاتز katz، وفودور fodor وبوستال postal، وهي ما دفعت نعوم تشومسكي noam chomsky إلى إعادة صياغة نظريته التي أسماها المنهج المعياري المعدل (الوعر:88).

ثم أرسى تشومسكي نظرة المدرسة العقلانية إلى الذهنية، فالعقلانيون يقرّون بمقدرة الإنسان على إنتاج جمل لغته وفهمها، أو ربطه ما يدور في خلد من المعاني الذهنية بمجموعة الإشارات الصوتية التي ينطق بها في عملية إنتاج الكلام، وتسمى هذه المقدرة عند تشومسكي بـ(الكفاية اللغوية)، وهي معرفة الإنسان الضمنية بلغته، أي أن الإنسان يملك كفاية لغوية قد انطبع عليها منذ طفولته وخلال مراحل

تحصيله اللغوي، وهي ملكة بديهية لا شعورية، تجسد العملية الحالية التي يقوم بها متكلم اللغة؛ بهدف صياغة جملة من خلال تنظيم من القوانين يربط بين المعاني الكامنة والأصوات المنطوقة، وهذا يعني أن الكفاية اللغوية تملك التنظيم اللغوي بالسليقة، فاللغة آلية تنظم ديناميكية التكلم، والقواعد هي التنظيم المحرك لهذه الآلية، والأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين (تشومسكي/أ: 28-29، وزكريا/ب: 62).

من هنا فإن للغة عند (تشومسكي) وجهين: وجه ذهني خالص، سماه: الكفاية، ووجه عملي منطوق مسموع، سماه: الأداء؛ ومن ذلك كله تحصّل مبدأ الكفاية والأداء. وعلى ضوء ما سبق يعرف تشومسكي الكفاية بأنها: القدرة على بناء نموذج لغوي ذهني مشترك بين المرسل والمستقبل، سدّاه الصوت، ولحمته الدلالة، وعلى أساسه تتمثل القواعد اللغوية (استيتية: 177).

فالكفاية اللغوية من خلال ذلك تتضمن عدة مهارات ذهنية، من أهمها: التصور، ثم التنظيم الذي يجعل الكلام منظّمًا، ثم التتابع الذي يجعل المهارات الذهنية قادرة على البقاء والاستمرار، ثم الاستدعاء الذي يجعل اللغة مطوّعًا للحضور في المواقف الحياتية المختلفة، ثم الاختيار الذي يجعلنا قادرين على تخير وانتقاء التعبير المناسب لكل موقف كلامي، ثم التقويم الذي يجعلنا نحكم من خلاله على سلامة لغتنا أو خطئها، واستدراك ما اعترأها من خلل لاحقًا. ولعل أدق وصف للأداء هو ذلك الوصف الذي يجعل اللغة واقعًا حيًا ومعاشًا في المنطوق والمسموع، حيث يتحد الأداء الصوتي مع المضمون الدلالي؛ وبذلك يكون الأداء هو الصورة الواعية التي تمثل الصورة المعقولة من اللغة (استيتية: 177-178، والبيدي: 302).

فتشومسكي لا اعتبار للنص عنده؛ لأنه يهتم بما أنتج النص أكثر من اهتمامه بالنص ذاته، وهذا على عكس ما يرى بلومفيلد، الذي ركز على النص، واهتم بما هو حادث بالفعل.

والكفاية عند تشومسكي صفة للفرد؛ إذ هي المعرفة الذهنية لدى المتكلم والسامع للنظام اللغوي؛ وعليه فإن لهجة الفرد هي الأساس عند تشومسكي وأسلافه الأمريكيين، أما لغة المجتمع الأوسع فهي عنده مفهوم ثانوي؛ لأنها لا تزيد على كونها طريقة مناسبة للإشارة إلى عدد كبير من الكفايات اللغوية الفردية

المتشابهة إلا في بعض التفاصيل الثانوية، وهذا عكس ما يرى سوسير؛ فاللغة عنده لا توجد على نحو كامل إلا عند الشعب ككل، وأما في ذهن الفرد فلا تكون كاملة مهما كانت ذخيرته وخبرته اللغوية (تشومسكي/ج:41، وده سوسر:21، والشايب:347).

وبهذه الثورة التشومسكية على المدرسة السلوكية، وما أتى به من أفكار جديدة حول إنتاج اللغة؛ "يعتبر نشوء مفهوم الكفاءة حدثاً هاماً من وجهة نظر معرفية، فقد حارب شومسكي - أيضاً - النزعة الشكلية (البلومفيلدية) التي كانت مسيطرة في محيط كان من المعيب القبول فيه بوجود أي شيء مجرد في المخ حين يكون مركز عملية لغوية" (مونان:204، وليونز:37).

فتشومسكي يجعل العقل/ الدماغ مادة محسوسة، وأنه ينمو كنمو أي عضو في جسم الإنسان (تشومسكي/أ:18-19، 45).

وفي دراسته للغة يضع الذهن موضع الاهتمام؛ وذلك لارتباط اللغة بالذهن مباشرة، وهذا لا يتنافى مع علاقة المشابهة بين العقل والأعضاء الأخرى في الجسم، بل شابه تشومسكي بينها من حيث النمو والتطور، أما من ناحية ارتباط العقل باللغة؛ فقد جعل ارتباطها بالعقل فقط (تشومسكي/ج:39)؛ فلذلك يقول: "إن الذهن - لا القدم - هو العضو الذي له صلة باللغة، وإن البشر يتشابهون إلى درجة كافية في القدرة اللغوية، وهو ما يسمح بعدد اللغة البشرية موضوعاً طبيعياً" (تشومسكي/ب:216-217، وأوكان:26)، وسمّة يمتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى.

### الخاتمة

بعد هذه اللمحة الموجزة حول الذهنية لدى السلوكيين واللسانيين، يمكن ذكر أهم نتائج البحث في الآتي:

- 1- أن نظرة السلوكيين إلى اللغة خاضعة لمبدأ المثير والاستجابة، وهي نظرة قاصرة.
- 2- أن النظرة السلوكية تعطل العقل وتساوي بذلك بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان.
- 3- أن العقلانيين يرون في اللغة الإنسانية الطريق الأمثل لدراسة العقل الإنساني وفهمه.
- 4- أن تشومسكي لغوي عقلي، يجعل للعقل دورًا بارزًا في إنتاج الكلام وإدراك معناه.
- 5- أن هذه الدراسة نواة لدراسات أوسع وأشمل حول الذهنية وارتباطها بإنتاج اللغة.

والله أعلم

### المصادر والمراجع

- 1- استيتية، سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث- إربد، جدارا للكتاب العالمي- عمان، ط(2)، 2008م.
- 2- أوكان، عمر: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001م.
- 3- بارتشت، بريجيت: مناهج علم اللغة من هارمن باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط(1)، 1425هـ- 2004م.
- 4- تشومسكي، نعوم: آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة: حمزة بن قبالان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، ط(1)، 2005م. ورمزت إليه بتشومسكي (ب).
- 5- تشومسكي، نعوم: اللغة والمسؤولية، ترجمة: حسام البهناوي، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط(2)، 2005م. ورمزت إليه بتشومسكي (ج).
- 6- تشومسكي، نعوم: اللغة ومشكلات المعرفة، محاضرات ماناجوا، ترجمة: حمزة بن قبالان المزيني، دار تويقال، الدار البيضاء، ط(1)، 1990م. ورمزت إليه بتشومسكي (أ).



- 7- جوزيف، جون إي: أدلجة سوسور، قراءتا بلومفيلد وتشومسكي لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة: باقر جاسم محمد:  
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94313>
- 8- حرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
- 9- ده سوسر، فدينان: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة، لبنان، 1984م.
- 10- زكريا، ميشال: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، 1984م.
- 11- سايبير، إدوارد: اللغة (مقدمة في دراسة الكلام)، ترجمه عن النص الإنجليزي وقدمه: المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب، 1995م.
- 12- الشايب، فوزي حسن: محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، 1999م.
- 13- ليونز، جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط(1)، 1985م.
- 14- العبيدي، رشيد: مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط(1)، 2002م.
- 15- موان، جورج: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، (د. ت).
- 16- الوعر، مازن: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل)، دار طلاس، ط(1)، 1988م.